على هامش الصراحة

كل خميس

استذكاراً لصراحة (أبو كاطع)

■ إحسان شمران الياسري

قبل أربعة عقود باشر الراحل (شمران الياسري- ابو كاطع) بمشروع جميل لاعداد القاموس الريفي. ولم يكتمل هذا المشروع الذي كان مشروع العمر بالنسبة للراحل.. ولجمال اللغة التي كُتب بها، ولطول مواده قياساً بحجم العمود المخصص، فقد آثرنا تجزئة نماذج من هذا القاموس الريفي إلى عدد من الأجزاء حسب الحال.

القاموس الريفي، الذي جمعت مواده الخام، وخصصت لانجازه أيام (التقاعد) المقبلة - ومنه العون والتسهيل! - أنوي ترتيبه هكذا:

الحروف.. الأسماء.. الأفعال.

حطّ...!

(الجزء الثالث)

ومن حكاياتهم المعروفة:

×حاط ايده على خده: يقال للعاطل.. ولصاحب المتجر الذي لا يبيع ولا يشتري.

×لاتحطني ارياش: بمعنى لاتستعملني أداة خادعة.

×صكَر ما ايحط إلا على موكره: يضرب لمن يعرف موقعه في العمل ومحله في المجلس..

×حط بالسله ركَي: ويقولونها (رجي) وهو من مأثورات البغاددة.

×حاط اركبّه بحنوچه: إشارة إلى جلسة القرفصاء.. من كرب أوضيق حال.

×حاط ايده على ازنادها: للشرس.. السيئ المزاج..

×حاط روحه بكل طلابه: لمن يتدخل في شؤون الآخرين بلا دعوة..

×حط راسها بعبها- او حط راسه بعبه-: لمن أوجز القول.. أو اختصر العمل على نحو غير مخل.. توفيرا للجهد والوقت..

×حطوها براسه: قريب من قول البغاددة (لبّسه الكلاو!)

×حطها بخميلته: لمن اتهم شخص بقضية ما..

×حاطين بحذاه كَطب: لمن وجهوا إليه التهمة..

×حاطينه وياها: يخص بها المتهم بعلاقة مع امرأة..

×حاطه ورده وخزامه: للفتاة المتحلية بالوردة والخزامة.. ويقال غالبا عن الأنيقة في ملبسها وزينتها حتى وان لم تلبس الوردة والخزامة.

×حط شبح: الشبح علامة التهديف بالبندقية.. .

×حط ميج: وضع علامة لتحديد قطعة الأرض.. ويقال عمن استشهد بشيء في كلامه.. ومن ذلك قول الشاعرة: (اخوي الحجي وحط للحجي ميج..)

×حط عليه وساكَه: وأصله مثل بغدادي.. شاع استعماله في الريف..

×حط عالحمل توساطه: مثل قولهم زاد في الطين بلة..

×حط عكَاله بركَبته: من أهان شخصاً.. ويطلق مجازا حتى وان كانت الإهانة لم تبلغ حد وضع (العكَال) بالرقبة!

×حط اكلاشه حدر ابطه: لمن استعد للهزيمة.. أو الحيطة من التورط في مسألة معينة.

×حاطه مدّكَه: لمن استخدم شخصاً بلا رحمة..

×ماتحط الذبانه على خشمه: للأبي الذي لايحتمل الضيم..

×حط العود عالكود: وحط هالحزمه فوكَ هالكاره: قريب من قولهم (الغركان ما يخاف من البلل أو المطر)

×ماينحّط عليه: للشجاع الحذر.

×حطه على موسكو او لنده: والمقصود توجيه مؤشر الراديو.

×ما حاط ايدي عليه: يقولها الشخص عن صاحبه الذي لا يملك امر توجيهه.

×حاط عينه عليه: لمن يهوى فتاة..

×حطّوله الشداد: أصله إن الشيخ كان لا يجلس في الديوان إلا والشداد بجانبه ليس تكئة وحسب بل تمييزا له عن سواه، ومن هنا شاع استعمالها مجازا..

×حط بالخرج شيء: في الرد على الدعي الذي لا تتجاوز مساهمته، بعض كلمات، ولا فرق إن كانت ألوفا..

×حطوله ذرور: أصله إن السلحفاة إذا بلغت في سيرها (السريع) بيت فلاح لابد من أن يسارع احد من أفراد العائلة إلى وضع شيء من الطحين فوق ظهرها، ويسمونه (ذرور)، ولهذا يعرّضون بمن (قبض) ثمن سكوته.. فيقولون (فلان حطوله ذرور)

×حط حمله بظهره: لمن استقل في شؤونه.

×حط الها ركَعه: يقال لمعتذر عن فعل ارتكبه سواه، أحيانا يلغزون به لمعنى آخر!

×حط له عليجه فارغه براسي: يقولها من اتهمه شخص بتهمة باطلة.

×شحط بكارتي وشطعم جارتي: يضرب للأناني -غالبا-

×حط ايدك بسدره: حث على إيقاف شخص عنده حده

×ما احط على ذمتي: يقولها شخص تطلب شهادته في قضية لم تتوفر له معلومات كافية عن تطوراتها.

×حطيت ايدي على كَلبي: بمعنى أوجست خيفة. أو توقعت شرا.

×حط اتراب على راسك: من باب الحث على القيام بفعل معين لاسترداد الكرامة.. ويقال غالبا للمستغفل..

×حط طينته بخده: بمعنى عدّد سيئاته وحسناته..

×حطه بكَعم جوزه: لمن حوصر بسيئاته.. وأحيانا لمن اعتدي عليه ظلما..

×حط ايدها بسيرها: غالبا يقال عن اللص الذي سرق البندقية..

×حطهن بالبطل: أصله إن الأغنياء في الريف كانوا-ولاتزال أغلبيتهم تدخر النقود في زجاجة..

×انحط دبستنا على دهنتنا: تقال دائما عند خطبة فتاة لأحد أبناء العمومة.. او صلة القربى من الخؤولة..

×كون ماعندك جبير حط لك عمامه واستشير: في الحث على المشاورة

×ايحط الحداجة على الدجاجه: يضرب لمن يسيء التصرف.

×كلشي ايحطه بخانته: الذكي المنظم في أعماله وأقوالهم

×حط لك بكار وسولف: للحث على أن يكون الكلام نافعا.

×شتحط الها وتطيب: عند حدوث أمر محير.

×حط له عكَرب بعبي: يقولها من ورّطه احد بقضية معقدة.

×احطه على كَلبي: إذا طلب احدهم شيئا وكان المطلوب لايملكه يجيبه لو عندي أحطه على كَلبي اختصرت إلى (أحطه على كَلبي)

×حط له بركبتي شكبان: غالبا اسمعه من متزوج أنجب أطفالا بكثرة وهو يشير بذلك إلى أبيه أو عمه الذي تسبب في تزويجه.. ويقال لمناسبات أخرى كذلك.

×ما احط بخاطره: يستعمله البغاددة بهذا المعنى أيضا..

×حط فلوسك بعبك كل الوادم تحبك: يكشف قيم المجتمع الرأسمالي بوضوح!!

×طار الغراب طرنا وياه حط الغراب حطيناه وياه: من ألعاب الصبيان.. قيام احدهم بامتحان ذكاء زملائه.. يقول مثلا، طار الغراب فيجاب من الجميع طرنا وياه.. ويقول حط الغراب فيجاب كذلك.. ويسرع في أقواله وتحريك يده ليوهم بطيء الفهم منهم.. فيقول مثلا طار البعير.. بعضهم يسرع فيقول طرنا وياه وعندها ينال جزاءه ضربا من كل الصبيان.. ومع أنها لعبة أطفال، فإن الكبار يرددونه غالبا عن المتملق والإمعة الذي يسير وراء (سركاله) بلا قيد ولا شرط..

الموجـة الرابعـة: الإنسـان أم التكنولوجيـا؟

بعد أن تعايش الإنسان مع نتائج الثورة الصناعية، أطلق العديد من الأدبيات التي تناولت مراحل تطوّره وفقا" لزوايا النظر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتكنولوجية، في محاولة لمنهجة حياة الإنسان نحو المزيد من التحليل واستخلاص النتائج واستشراف آفاق المستقبل، ولعل اعتماد المفكر (إلفين توفلر) مصطلح الموجات التطوّرية في حياة البشر - ضمن كتابه الموجة الثالثة - توصيفا" مهما " لفهم مكنونات التطوّر الإنساني.

وبهذا الاتجاه فان اقتباس كلمة (موجة) كان يراد بها الوصول إلى ذروة التطوّر الذي تأتي به التكنولوجيات المبتكرة، وبذلك تحقق الموجة معنى حركياً قادراً على التواصل بما مضى وبما سيكون، أي الإقرار بإرث الماضي وطموحات المستقبل، ويفهم من زمنية تلك الموجات أن العالم يشهد مدّا" متسارعا" في تيارات التطوّر باتجاه سواحل الإنسان المجهولة، فتبقى الاستجابات متفاوتة وفقا" للصخور المتلقية، فمنها من تصمد وأخرى تنغمر والكثير يتهاوى.

د. مهدي صالح دوّاي

الرحلة الخضراء نحو الإنسان

تبعا" للعالم توفلر، فان عصر الزراعة (الموجة الأولى) قد استمر لما يزيد على (٣٠٠٠٠) ألف سنة، وبغض النظر عن دقة الرقم، نرى في هذا العصر أن ولوجا" للتاريخ من بوابة خضراء قد حدث، إذ نشطت حضارات السبق الأول في التاريخ، ومعظمها حضارات شرقية، كانت تكنولوجيا الزراعة فيها أول من توغل بعمق في مجاهل الحياة المظلمة - إذا ما استثنينا اكتشاف النار قبل الزراعة - عليه فان إنسانية التكنولوجيا بدت واضحة في التأسيس لحضارات روحية ووجدانية خالدة، وان كانت هنالك بعض النتائج المادية الضرورية. كان الصراع بمستوى الحدث دون تجاوز كبير للحدود، إضافة إلى أن تلك الحضارات أسست لما بعدها، وهذا الأمر أوسم ناسها بالمبتكرين، وعادة مايمثل الابتكار أعلى مراحل الانجاز، مما أبقى لتلك ذكراها، فهي حيّة نابضة إنسانية مادامت الحياة. لقد أوجدت هذه الموجة طمأنينة الراحة لإنسان عاش لفترات بلا هوية، فأصبحت الزراعة هويته الملونة بما تحوي من معاني الالتصاق الفطري بالأرض، والتنعم بهبة الماء بشكل آخر، وصداقات جديدة لحيوانات كانت بالأمس تمثل المجهول والعدو، ولكن مازالت الأرض بكرا"، والخطوات نحو الحضور الفاعل للإنسان متعثرة هنا وهناك، وشراهة الاستكشاف تصطدم، بمحدودية التفكير، ماعدا مراكز التحضّر المبعثرة في أصقاع الأرض.

الرحلة الرمادية للإنسان

مثّلت الثورة الصناعية قمة الموجة الثانية في مسيرة التطوّر، استمرت وفقا" لتصنيف توفلر (٥٠٠) عام، كانت ولادة للنور، ولادة لأدخنة رمادية تغزو البيئة النقية لأول مرة، ولادة للأمل في ترويض كل ماهو متمرد، ولادة لخيالات السيطرة والاستحواذ، ولادة لفكر ممنطق لخلاص الإنسان من عوالق وعادات الفطرة السيئة، وغيرها من الولادات التي تحمل في طياتها العديد من التناقضات، التي بدورها أسست للعديد من الأيديولوجيات والتنظيرات المستندة إلى العلم والتجربة وتعميم النتائج.

ومرة أخرى تستوعب الأرض نتائج هذه الموجة، ولكن بطبيعة مغايرة عن الموجة السابقة، فللتكنولوجيا هنا نصيب آخر، وبتعقيداتها هذه المرة أصبحت غير مشاعة للجميع، إذ بدأت تتفاوت المراكز الحضرية بمواقعها الإنسانية، فأفلت (بكسر الفاء وفتح اللام) حضارات وسطعت أخرى، فأصبحت الوسائل غايات والغايات وسائل، فكانت موجة يقودها الإنسان وليس بالضرورة أن يكون هدفها الأسمى.

الثورة الصناعية بحق كانت أم الثورات، إذ فصلت زمنين (ماقبل الصناعة وما بعدها)، لكن صعوبة فك أسرارها لقرون جعلها عصيّة على الغير، وهذه الخصيصة أسست لقوانين غير عادلة، وصنّفت لعوالم عديدة، وقواسم غير مشتركة عديدة أذهبت بسنن التعايش المبكرة لبني الإنسان، فأهداف عديدة كانت كفيلة بإشعال حروب وأزمات وشعور بالقلق المستديم، فكانت بحق الرحلة الرمادية للإنسان.

الرحلة نحو الكوكب

العمر الزمني، ربع قرن مضى، الانجاز التقني يتجاوز الاربعمئة سنة مختزلة. الأرض برمتها أصبحت عنكبوتية. إنها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أطلقت العنان للقوى الذهنية بديلا" عن العضلية والآلية، تغيّرت مفاهيم الثروة وراس المال والاستثمار، فمحركات النمو باتت بشرية صرفة، والجغرافية انصهرت افتراضيا"، فتدفقت المعلومات سيولا"، وباتت الرؤية إلى الأشياء بالبصر والبصيرة كلوحات الرسام (دالي)، وزمن الجيل الواحد يضم ثقافات متعددة، فالرحلة كوكبية المجال، انكشفت بموجبها معظم زوايا الأرض المنسية.

الكل يستفهم والوقت لايسمح بالإجابة بسبب ظهور استفهام جديد، التسارع سمة العصر، والروبوتية صفة إنسانية مضافة، العقل البشري يزهو بعيدا " عن النمطية، كل يوم مصطلح وبراءة اختراع تلتهم علومنا، فنغدو لابتداع علوم جديدة، وبالمقابل تتحدانا أزمات من نوع مغاير، المناخ، التلوث، الأمية المعرفية، أزمات مالية، .... تتطلب جميعها" حلولا" كوكبية.

لقد بات الضغط على الأزرار لايغادر الأنامل للتواصل والطباعة وقطع تذاكر الطعام والملبس والمسكن والسفر، ورؤية ما نهوى، ومحاربة من نعادي بلا فروسية المواجهة المباشرة، والتجول مرئيا" في بقاع الأرض، وملايين المعاملات والصناعات المؤتمتة، إنها تكنولوجيا ملازمة للحركة والسكون، ملازمة للإنسان كظله تأخذ بخياله إلى الواقع كلما سرح للتأمل .

لقد أظهرت نتائج هذه المرحلة حقيقة الحدود الهشة بين العوالم المتقدمة ومادونها، فجدران الأمس كانت تستر عورات ساكنيها، انه انتهاك غير مشروع لحرمات الناس، فالثقافات باتت كالسلع تنتقل بأغلفة براقة، وأمسى العالم في مخاض اللاهوية بحثا" عن الثوابت، فالرأسمالية - معقل التغيير الجديد - لها أزماتها، ومراكز القوى تتبدل عالميا" في كل حين، و أسطري القليلة تعجز تماما" عن توصيف مانعيش، فمازلنا في صميم الموجة الثالثة بانتظار نتائجها النهائية.

الرحلة الكونية

بدأ الحديث عن الموجة الرابعة يشاع بلا تردد، يصفونها بالعصر الافتراضي الذي تتضح معالمه بدقة بعد عقدين من زمن القرن الحالي -كما يرون -، وإذا كان الخلاف بين الموجتين الثانية (الصناعية) والثالثة (المعلوماتية والمعرفية) ينحصر إلى حد كبير في أساليب الإنتاج، فان الموجة الرابعة سوف تتميز بالإمكانات والانجازات الهائلة، التي قد تتجاوز حدود الكوكب لتشمل أبعادا" كونية ابعد، وصفها الكاتب المصري (احمد أبو زيد) بأنها، موجة تنظر إلى كل أنحاء كوكب الأرض، بل والكون بأسره على أنها تؤلف وحدة متكاملة ونظاما" واحدا" معقدا" ومتفاعلا" بعضه مع بعض، وقادرا" على الاستمرار في الوجود رغم كل مايواجه من كوارث. فهذه الموجة سوف تشهد مزيجا" من التقدم البايلوجي والتكنولوجيا الرقمية، وارتباطهما معا"، إلى جانب الاندفاع بقوة نحو الفضاء الخارجي تحقيقا" لتكامل المعرفة الشاملة التي لم تتحقق في الموجة الثالثة.

سوف تثير خفايا هذه الموجة الكثير من التساؤلات، حول مصير المنظومات السياسية والاجتماعية والثقافية والتعليمية وغيرها، وماهيّة ألوان الحياة ومفاهيمها الجديدة، ولكن مما لايقبل الشك أن هنالك مساحات هائلة بين شعوب العالم ستملأ بالفعاليات المشتركة دون إملاءات من احد، وتقاربات غير معهودة ستحدث، ستظهر من جديد أهمية الحضارة الروحانية بعدما قننتها قوانين المادة الصارمة، فما تحدثه تقنيات الاتصال سيعمل - بنظرنا - على زيادة التثقيف الشعبي لتصويب أخطاء الساسة والحكام، وتبعث الأمل من جديد نحو حياة أكثر تحررا" من المادة، وهذا مايلاحظ في انبعاث قوى حضارية أصيلة - على رأسها الصين والهند - سيكون لها ابلغ الأثر في إعادة التوازن الحضاري لصالح المثل العليا. من هنا سيكون التعاطي تبعا" لمستوى الإدراك الشعبي لمضامين هذه الموجة، لتجنب الوقوف بانبهار أصم أمام منجز التكنولوجيا، فالأخيرة أصبحت معطى لايمكن تجاهله حتما"، ولكن مايبقى رهان الحياة الأوحد هو إنسانية الإنسان كما أرادتها قوانين السماء العظيمة.

الاشـــتراكيـــة مجـــددا"

فريدة النقاش

مع اندلاع ثورة ٢٥ يناير في مصر وتفجر الثورات العربية في كل من تونس وليبيا، سوريا واليمن والبحرين، يستعيد مفهوم الثورة الوطنية الديمقراطية ألقه، ويصبح مجددا أداة ثاقبة للتحليل تساعدنا على فهم التطورات الجارية في المنطقة والآفاق المستقبلية التي تفتحها للانتقال إلى الاشتراكية على المدى الطويل.

سبق أن تبلور هذا المفهوم، أي الثورة الوطنية الديمقراطية في سياق نضال الشعوب من أجل الخلاص من الاستعمار الخارجي، حيث تحتشد مجموعة من الفئات والطبقات لانتزاع الاستقلال وطرد المحتل الأجنبي وعزل الطبقة أو الفئة المتعاونة معه، وطالما تحددت المهام الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للثورة الوطنية الديمقراطية بكل من الظروف المحلية من جهة وبطبيعة العصر الذي تجري فيه من جهة أخرى وبالعلاقات بين القوى الاجتماعية التي تنجزها من جهة ثالثة، وأخيرا بآفاق المستقبل الذي تفتحه لتطور البلد المعني، ومن تفاعل هذه العوامل كلها تنتج الثقافة الوطنية الديمقراطية التي تتخذ طابعا عصريا أصيلا بتملك هذا العدد الهائل من الشباب لثورة الاتصال.

كنا نصف عصرنا هذا قبل ثلاثين عاما بأنه عصر الانتقال إلى الاشتراكية حيث تبلورت على الصعيد العالمي قوى ثلاثة هي المعسكر الاشتراكي، وحركة التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وتحالف الطبقات العاملة في أوروبا وأمريكا مع دولة الرفاهية الاجتماعية التي نشأت نتاجا لنضال هذه الطبقات ولانتصار الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي.

واستطاعت هذه المنظومة الثلاثية التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية أن تحاصر الإمبريالية العالمية وتحد من أشكال تطرفها، بل وتلحق بها الهزائم في بعض الأحيان، ولكن المنظومة الثلاثية تآكلت ووصلت ذروة التآكل بانهيار المعسكر الاشتراكي الذي تواكب مع صعود سياسات الليبرالية الجديدة، ونجاح أحزاب اليمين في أوروبا وأمريكا، وانتعاش الثقافة العنصرية المعادية للشعوب، وبروز الحركات الفاشية والنازية الجديدة والإسلاموفوبيا، وارتداد بلدان التحرر الوطني التي كانت قد شهدت من قبل تحولات عاصفة وتطلعات اجتماعية قوية نحو الاشتراكية لدي شعوبها حتى ولد مفهوم طريق التطور اللارأسمالي الذي كان وصفا آخر للثورة الوطنية الديمقراطية.

وخاض الاشتراكيون في كل مكان مجادلات واسعة حول طبيعة هذه الثورة وقواها الاجتماعية وأعدائها وحلفائها، ثم جاء استقلال جنوب أفريقيا بعد كفاح مرير أدي لهزيمة العنصرية البيضاء في عام ١٩٩٤ وبعد أعوام قليلة من تفكك الاتحاد السوفيتي، ليطلق مرحلة جديدة من مراحل الثورة الوطنية الديمقراطية التي تتصارع في داخلها التوجهات الرأسمالية الخالصة التي يمثلها رأس المال الكبير والاحتكاري والتوجهات، الاشتراكية التي تمثلها تحالفات العمال والفلاحين والمثقفين التي انطلقت بكل قوة بعد أن أسهمت بنشاط في هزيمة العنصرية.

وسرعان ما جاءت أمريكا اللاتينية إلى المشهد، ولم تبق كوبا وحدها تصارع في القارة ضد التوحش الإمبريالي والحصار الذي ضربته حولها الولايات المتحدة الأمريكية، وجاءت كل من البرازيل وفنزويلا وبوليفيا ثم بيرو وعدد آخر من البلدان عبر الانتخابات إلى صفوف الثورة الوطنية الديمقراطية مجددا لتبث فيها مضمونا ثقافيا جديدا سرعان ما أكدته الثورات العربية وخاصة في مصر، وليبرز مفهوم الاستعمار الداخلي الذي يمثله الاستبداد المهيمن بديلا عن الاستعمار الخارجي، وقد اتخذ الأخير شكل التبعية الاقتصادية عبر الشروط التي فرضها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وهيئة المعونة الأمريكية على هذه البلدان، وعلينا أن نتذكر ونفخر الموقف الأخير الذي اتخذه المجلس الأعلى للقوات المسلحة في مصر حين رفض الاقتراض من الصندوق وأعاد الميزانية للحكومة لكي تدبر موارد أخرى.

بعودة الثورة الوطنية الديمقراطية إلى الواقع العالمي أصبح الانتقال إلى الاشتراكية موضوعا مجددا على جدول الأعمال رغم أن مرحلة الانتقال قد طالت بعد أن توحشت الرأسمالية رغم أزماتها المتكررة، وعجزت البورجوازيات أو الطبقات المالكة رغم الاتجاهات الوطنية الديمقراطية في داخلها عن المضي بالتحولات بشكل أعمق إلى الثورة الاجتماعية التي تمهد الأرض للانتقال إلى الاشتراكية الذي أعطاه حزب التجمع عنوانا هو «مجتمع المشاركة الشعبية».

ولكل هذه الأسباب يتقدم الآن في مصر على نحو خاص تحالف العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والمثقفين الثوريين ببرنامج تتضح معالمه يوما بعد يوم لتصفية الاستعباد والاستغلال، ويعلو صوت الدعوة لاستعادة القطاع العام لدورة قائدا للتنمية ووقف برنامج الخصخصة وإحياء وتطوير التعاون الزراعي وإصلاح جذري لنظام الأجور، وهو ما يمنح الثورة الوطنية الديمقراطية مضمونا جديدا تنمو في ظله بذور الثقافة الاشتراكية في البيئة النشطة التي يصنعها النضال الشعبي الديمقراطي والحلف الاجتماعي الجديد الذي يتبلور في ظله.

لم يعش المفكر الاشتراكي البريطاني «رالف ميليباند» ليشهد الأحداث الثورية الأخيرة في كل من أمريكا اللاتينية والوطن العربي ولكن قراءته المدققة للأمور جعلته يدافع بحرارة قبل عشرين عاما عن الحاجة للانتقال إلى الاشتراكية في كتابه الثمين «الاشتراكية لعصر شكاك» الذي نحتاج الآن لإعادة قراءته، فلم يعد العصر شكاكا بنفس القوة كما كان.

محاكمة «مبـــارك»

حسين عبدالرازق

حملت محاكمة الرئيس السابق محمد حسني مبارك التي بدأت يوم الأربعاء الماضي أكثر من دلالة مهمة.

□ فلأول مرة في التاريخ تشهد مصر أحد حكامها وأكثرهم استمرارا في السلطة (٣٠ عاما رئيسا للجمهورية) في قفص الاتهام، ليحاسب - ونجلاه جمال وعلاء - على بعض ما ارتكبوه من جرائم «وليس كلها»، ولا تقف أهمية هذا الحدث وتاريخيته عند هذه الحدود، فأثاره على مستقبل التطور السياسي في مصر ستكون هائلة، ويحمل إنذارا لكل منظومة الفساد والفاسدين في مصر من القمة إلى القاع، وسواء كان الفساد ماليا أو إداريا أو سياسيا.

□ والدلالة الثانية أن قطار التغيير الذي انطلق في ٢٥ يناير ٢٠١١ وإسقاط النظام «القديم» القائم في مصر منذ دستور ١٩٧١، لم يتوقف عند حدود خلع رئيس الجمهورية - صاحب القرار السياسي والتشريعي والتنفيذي والإداري في مصر طبقا لهذا الدستور - وحل مجلسي الشعب والشورى ثم المجالس المحلية، فالمحاكمة توجه ضربة نافذة لهذا البنيان الاستبدادي القائم، تضاف إلى ما سبقها من خطوات.

□ يضاف إلى ذلك أن الثورة لم تلجأ إلى قضاء استثنائي أو إجراءات استثنائية لمحاكمة الرئيس المخلوع ونجليه ووزير داخليته ومساعديه، فمثلوا جميعا أمام القضاء الطبيعي وبإجراءات قانونية سليمة طبقا لقانون الإجراءات الجنائية، ومارس الدفاع عن المتهمين حقوقه كاملة في تقديم الدفوع وطلب الشهود - شهود النفي - ورد المحكمة.. إلخ.

ومع ذلك فينتقص من هذه الدلالات الإيجابية والمهمة عديد من تصرفات السلطة الحاكمة خلال مرحلة الانتقال الحالية «المجلس الأعلى للقوات المسلحة ومجلس وزرائه» والتي تصب في مجرى استمرار النظام القديم وتأكيد بقائه.

- فبينما يحاكم رأس النظام أمام قاضيه الطبيعي، يخضع مئات وآلاف من المواطنين المشاركين في المظاهرات والاحتجاجات وبينهم من ينتمي للثوار لمحاكمات عسكرية استثنائية تفتقر للضمانات القانونية وتغيب عنها العلانية، وتمتد هذه المحاكمات العسكرية لتشمل عمالا مارسوا حقهم في الإضراب أو الاعتصام للمطالبة بحقوقهم الاقتصادية!

- ويحاكم هؤلاء جميعا بقوانين استثنائية آخرها المرسوم بقانون الذي أصدره المجلس العسكري والذي يجرم كل وسائل الاحتجاج الديمقراطية في ظل حالة الطوارئ والتي تكاد تكون معلنة في مصر بصفة دائمة، وهي معلنة حاليا وحتى نهاية مايو من العام القادم على الأقل منذ ٦ أكتوبر ١٩٨١، أي منذ ٣٠ عاما، إضافة إلى ترسانة القوانين الموروثة والتي تبدأ بالقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١٤ والقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٢٣ وكلاهما يصادر حق التجمع والتظاهر، مرورا بالعديد من مواد قانون العقوبات والقانون ٥٨ لسنة ١٩٤٩ الذي يجرم حق الإضراب وقانون الأحكام العسكرية وقانون الإرهاب، وصولا إلي قانون مكافحة الإرهاب ٩٧ لسنة ١٩٩٢ وقانون الجمعيات ٨٤ لسنة ٢٠٠٢.

- وتكشف حركة التعيينات الأخيرة للمحافظين عن اعتماد السلطة لنفس المنهج والأساليب التي كانت سائدة في ظل حكم الرئيس المخلوع، من عسكرة للمحليات والاعتماد على كوادر لا علاقة لها بالمحليات، واختيار شخصيات تنتمي بالفكر والمصلحة للحزب الوطني وسياساته التي قادت البلاد إلى الكارثة.

من هنا تتحمل الأحزاب والقوى السياسية وائتلافات الشباب والنقابات العمالية والمهنية مسؤولية أساسية في حل هذه الازدواجية في ممارسات سلطة الحكم الحالية، وفي الدفع نحو القضاء على النظام القديم القائم على الاستبداد والقوانين والأوضاع الاستثنائية، وتأسيس نظام جديد لدولة مدنية ديمقراطية حديثة يحكمها دستور مدني ديمقراطي وقوانين طبيعية ديمقراطية، وقضاء طبيعي مستقل.